## (٩٥)

## "إنصاف"

عاشوا جميعًا متبعين تقاليد متوارثة فى تربيتهم لأبنائهم، وإذا حاول أحدهم أن يتساءل: "لماذا؟"، لم يكن ليجد أية إجابة غير تلك الهمهمات بضرورة الاتباع للمألوف، وللتقليد المتوارَث الذى لا مفر منه ولا مهرب. وكانت "سليمة" من هؤلاء اللاتى نشأن على تطبيق التقاليد بحذافيرها دون إعادة تفكير فيها بهدف الفهم والاقتناع، أو رغبة فى التأمل من أجل التغيير، ومن ثمَّ فقد ربَّت ابنتها مثلما تفعل كل الأمهات فى مجتمعها، فأنشأتها على التزام العفة والحياء، والبعد عن التبرج والاختلاط، بينما سمحت لابنها أن يعبث مع أية فتاة تسمح له بذلك، بحجة أنه "الرجل" الذى لن يكون هناك أى لوم عليه طالما ستكون "المرأة" كعادة ذلك المجتمع هى كبش الفداء الذى سيتحمل جُل مسئولية تلك العلاقة غير المشروعة لها فى أية مرحلة من مراحلها، والمسموحة له حتى النهاية.

ومع كل خطأ كان يرتكبه ذلك الابن المُدلل وغير المسئول، لم يكن هناك سوى محاولة والديه لإصلاحه نيابة عنه فور تفجره – فى هدوءٍ تام وبلا شوشرة. وكانت بداية أى خطأ من هذه الأخطاء، المتماثلة فى وصفها وشكلها وأحداثها ومآلها، تتم بموافقة جميع الأهل ضمنيًا، بل كان تطورها السرى وغير المعلن بشكلٍ أو بآخر محل مباركتهم جميعًا، وكأن قدرة ابنهم على مصاحبة

الفتيات واتخاذهن أخدان، هى الأمر الوحيد الذى يثبت رجولة ابنهم فى المجتمع.

ولم يكن ذلك الابن هو وحده الذى استباح حرمات بنات الناس مستحلاً لها، بل كان مجتمعه كله هو أكبر مشجع ومحرض له، ومن ثم فهو شريكه الذى يتحمل معه مسئولية كل جريمة أخلاقية وقع فيها. فذلك المجتمع هو الذى سمح له بطيب خاطرٍ أن يفعل ما لم يُسمَح بتاتًا لأخته أن تفعله، لا لشيء سوى لأنه هو "الرجل" الذى إذا أخطأ فله كل الغفران دون المساس بسمعته، بينما أخته هى "المرأة" التى ليست سوى كائنٍ ضعيف سهل الكسر، وسهل الانقضاض عليه، وتلويث سمعته وسيرته للأبد.

وكان من نتائج تلك التربية غير المنصفة أن خلَّفت مع الوقت بناتٍ كثيرات ساخطات على وضعهن المتدنى كسلعة معروضة فى الأسواق، ومحفوظة بحرص لمن يلعب ويلهو كيفما يشاء، ثم إذا أراد الزواج فلا يتقدم سوى لخطبة المرأة العفيفة التى أهداها له مجتمعه الفاسد وغير السوى، لتكون سكن من لا يستحق السكينة، وشرف من ليس له شرف. وإذا أبين قبول ذلك العرض غير المنصف، وفضلن عدم الزواج، فلن يكون أمامهن سوى أن يتحولن بمرور الوقت إلى فتيات معقدات ثم نساء عانسات فى مقابل ألا يكن زوجات مقهورات وفاشلات فى زواجهن.

كما أنتج ذلك المجتمع أيضًا فتيات أخريات تمردن على وضعهن وقررن أن يدخلن ميدان اللهو والتسلية مع الرجال، مساواة بهم وتحديًا لمجتمعهم، أو انجرافًا لعاطفة خادعة ومشاعر بلا أخلاق أو فضيلة، فدفعن الثمن بعد

ذلك وحدهن من شرفهن وسمعتهن، التى أصر المجتمع على استباحتها متحدًا مع الرجال ضدهن، فمنح الرجل البراءة رغم خسة جريمته، وألقى كل اللوم والعقاب على المرأة وحدها على الرغم من أن تلك الجريمة الفاحشة لابد لها من الثنائية فى الفعل.

وفى مقابل كل هؤلاء النساء تقف القليلات اللاتى يساندهن رجال أسوياء مطالبين بالمساواة فى تربية الفتيان والفتيات، ومنادين بالعفة للجميع، وبالعقوبة المجتمعية الواحدة لكل من يخطىء رجلاً كان أو امراة طالما استباح لنفسه ما لا يقبله من غيره، وكانت ابنة السيدة "سليمة" واحدة من هؤلاء المناضلات اللاتى استعففن رغم كل هذه الضغوطات فرُزِقن بالأعِفاء.